وإنما يتهيأُ ذلك أن يدعنى[١] فى ذلك اليوم الملك الأعظم ويَتَّفِقُون كلُّهم على هذا الرأى .

وكان وَضحُه فى حلقومه حيث تغطِّيه اللحية ، وذكر يُوحَنَّا بن مَاسَوَيْه[٢] أنَّ موتَهُ إنما كان لسبب دواء كان دفعَهُ إليه لهذه العلَّة ، فلما دعا به فى السَّحَر غَلِطَ الخادمُ فسقاهُ دواءً كثير الأَفيون[٣] فشربه فمات ، وكان يُكنَّى أبا الحسن .

• • •

بسم الله الرحمن الرحيم

قد قلنا فى البرصان وأسمائهم وأنسابهم وصفاتهم وأقدارهم والدليلُ على ذلك والشاهد عليه بالشِّعر الصحيح والحديث المُسْنَدِ ، وسنذكر شأْن العُرْجان وأَسْمائِهِم وأَنْسَابهم وصفاتِهم وأَقْدارهم بمثل ذاك من الأَشعار الصحيحة والأَسانيد المرضية .

• • •

ومن العُرجان ، الحارثُ الأَعرج الملكُ الغَسَّانِىُّ ، وهو الحارثُ

---

(١) هكذا فى الأصل ، وهى خطأ وصحتها يدعونى ، ولعله أثبت ما نطق به بلغة عامية .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٥٠ .

(٣) هاتان الكلمتان غير واضحتين فى الأصل ، ولعل صحتهما ما أثبت ، هذا وقد ذكر فى سبب موته أنه شكا جرباً ليحيى بن ماسويه فبعث إليه بدواء مسهل وطلاء فشرب الطلاء واطلى بالدواء فقتله ذلك ، انظر مختار الأغانى ٨٤/٥ .

الأصغرِ[١] بنُ الحارثِ الأوسطِ بنِ الحارثِ الأكبر ، وما أقلَّ ما يجيءُ مثل هذا .

وفى آل أبى طالبٍ حَسَنُ بنُ حَسَنِ بن حسن[٢] ، وكان فى بنى مخزوم الوَليدُ بنُ الوليدِ بن الوليد[٣] ، فلما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « قد جعلتم الوليدَ حَنَاناً[٤] » ، تَسَمَّوا بغير الوليد . فإنْ قال قائلٌ . فَلِمَ جاز حسنُ بن حسن بن حسن ولم يُجزْ الوليدُ بن الوليد بن الوليد ؟ قلنا : كأنهم أرادوا تعظيم شأْن الوليد الأول وإحياء ذِكْره والتيمُّنِ باسمه ، وكان الوليدُ بن المغيرة أحد المستهزئين ، فكره النبى صلى الله عليه وسلم مع قُربِ العهد بالجاهلية تعظيم شأْن أولئك العظماء ، والتنويه بأقدار أولئك الكبراء .

---

(١) لم يكن الحارث الأصغر هو الأعرج ، بل أبوه الحارث الأوسط كما ورد فى المعارف لابن قتيبة ٥٩٠ ، ومما يؤيد هذا قول النابغة :

للحارث الأكبر والحارث الـ أصغر والأعرج خير الأنام

وهذه رواية الأغانى ١٩/١١ للبيت ورواية الديوان ١٢٥ :

للحارث الأصغر والحارث الـ أعرج والحارث خير الأنام

وعلى كلا الروايتين فهو ليس الأصغر كما ورد فى النص . وسيورد الجاحظ البيت فيما يلى برواية أخرى .

(٢) هو أخو عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وكان ابنا عبد الله محمد وإبراهيم يعدان العدة للخروج على أبى جعفر المنصور فألح فى طلبهما ولما لم يعثر عليهما أمر بالقبض على أبيهما عبد الله وإخوته الحسن وداود وإبراهيم فظلوا فى حبسه حتى ماتوا ، رحمهم الله ، انظر المعارف ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٣) سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله بدلا من الوليد ، انظر نسب قريش ٣٢٩ ، جمهرة الأنساب ١٤٨ .

(٤) أي تتعطفون على هذا الاسم وتحبونه ، انظر النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤٥٢/١ .

وكان الحسنُ الأولُ الذي سُمّي الثاني [باسمه] والثاني الذي سُمّي الثالثُ باسمه . ابنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسليله وأشبهَ الناس خُلُقًا وخَلْقًا به ، وسيِّدَ شباب أهل الجنة ، وأَرْفَعَ الناس فى الإسلام درجة ، فحكمهُما يختلف ، ولوفَعَل مثلَ ذلك اليوم بعضُ بنى مخزوم لم يكن حكمُه اليوم كحُكْمِهِ يومئذٍ ، كأُمورٍ كثيرةٍ قد كانوا يَنْهَوْنَ عنها يومئذٍ ، كالذى كان من عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين ، من ذلك ترك الحرص على طلب الولد والشغف لكثرة الرزق والرغبة فى المكاثرة للتهيب والتخويف للمناهضة ، وبالقدرة والإقرار للعدوّ .

ومن ذلك حضورُ صلاة الجماعة ، لم يجعلْ رسولُ الله فى ذلك الدهرِ لابن مكتوم وهو أعمى عديمُ القائد عُذْراً فى التخلُّفِ إذا كان يسمعُ النداء ، ولو قَصّر فى ذلك العميانُ فى بعض الحالاتِ لم يكن حَرَجاً ولا عند تلك الجماعة مُبَهْرَجاً ، وإنما جاز ذلك اليومَ لاستفاضةِ الإسلام ولتمكُّنِهِ وعلوّه على أعدائه وظهور بُنيانه وتمكن أركانه ، فصاروا كما قال الله : ﴿ لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشرِكُون ﴾[1] ألا ترى أنه ليس على ظهرها بلدٌ يناله الأَخفافُ والحوافرُ إلاَّ وهو مأْخوذٌ عنوة أو صلحاً على إعطاءِ الجِزْية ، ولم يبق إلاَّ من اعتصمَ برءُوس الجبال ولُجَجِ البِحَارِ وبالوُعول فى الأَدغال ، أو ملكٌ خَضَع للصُّلْح وأعطى بعض الخَرْج فوسم نفسه بالذِّلَّةِ وشَهَّرَها بإعطاءِ الجزية .

وقد ذكر الحارثَ الأَعرجَ النابغةُ الذُّبْيانى فقال :

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٣ وكذلك سورة الصف الآية ٩ .

هـــذا غلامٌ حَسَنٌ وَجْهُـــهُ مستقبِلُ الخيـــر سَرِيعُ التَّمَامْ
للحارث الأَصغر والحارث الـ أَوْسط والأَكبر خير الأَنَامْ[1]

* * *

ومن العرجان ، الأَعرجُ وهو الحارثُ بن كعب بن سعد ، وهو أَبو قَبِيلٍ من قبائلِ بنى سعد ، وهم بنو الأَعرج[2] الذى سمعتَ بهم رهطُ زُهْرَةَ بن جُوَيَّةَ[3] الفارسِ البَطَل ، وإنما أَعرجه عبدُ شمس ابن سعدٍ[4] فى حربٍ وقعتْ بينهُم فى شأْن الهَيْجُمانةِ بنتِ العَنْبرِ ابن عمرو بن تميم ، وكذلك اسم سَلِيطِ[5] بن يَرْبُوع ، وكذلك اسمُ

---

(١) فى الأصل :
للحارث الأصغر والحارث الـ أوسط والحارث الأكبر خير الأنام
وقد زاد الناسخ كلمة الحارث فى الشطر الثانى وهو خطأ ولا يستقيم معها الوزن ، وعلى أى حال فالرواية التى هنا لم ترد فى المراجع ، وقد أثبتنا فيما سبق الروايات الأخرى ، والبيتان قيلا فى مدح النعمان بن الحارث أخى عمرو بن الحارث الغسانى وهو يومئذ غلام ، وكان النابغة قد نزل على عمرو حينما هرب من النعمان ، انظر الأغانى ١١/١٩–٢١ .

(٢) هم إحدى خمس قبائل من بنى سعد كانوا يسمون الأجارب ، وهم ربيعة بن مالك والحارث (وهو الأعرج) وعبد العزى (وهو جمان) والحرام بنو كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، انظر النقائض ٩٧٠ ، جمهرة الأنساب ٢١٦ .

(٣) ذكر ابن حزم فى الجمهرة أن اسمه زهير بن جويرية ، وذكر ابن الأثير أن اسمه زهرة بن جوية كما هنا ، شهد القادسية وأبلى بها ، وهو قتل الجالينوس الفارسى ، وقتله شبيب الخارجى مع عتاب بن ورقاء يوم سوق حكمة ، انظر جمهرة الأنساب ٢٢١ ، الكامل لابن الأثير ٤/١٦٢ .

(٤) الصحيح أن الذى أعرجه هو غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم وكان ذلك يوم تياس وهو ماء بين الحجاز والبصرة ، التقت عليه قبائل بنى سعد بن زيد مناة وقبائل بنى عمرو بن تميم فقطع غيلان بن مالك رجل الحارث بن كعب نسمى الأعرج ، فطلبوا القصاص فأقسم غيلان ألا يعقلها ولا يقص بها حتى تحشى عيناه تراباً ، انظر هذا الخبر فى النقائض ١٠٢٥ ، العقد الفريد ٥/٢٣٧ ، وانظر خبر الهيجانة بنت العنبر في مجمع الأمثال ١/١٩٣ . ١٩٤ .

(٥) هذا لقبه واسمه كعب ، وهو كعب بن الحارث بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، انظر جمهرة الأنساب ٢٢٥ ، ٢٢٤ ، النقائض ٢ ، ويختصر اسمه كثيراً إلى سليط بن يربوع انظر فهرس النقائض فقد ورد ذكره فى مواضع متعددة فيه .

مُقَاعس وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد ، وكذلك شَقِرَة[١] ، وكذلك الحِرْمَاز ، وهو الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم ، قالوا : وكذلك القُبَاع المخزومىّ الخطيب ، اسمه الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى[٢] ، وقالوا من كان ذا لقبٍ فى بنى تميم فإنَّ اسمَه الحارث وكان ينبغى أن يقولَ : كلُّ حارثٍ فى بنى تميم فهو ذو لقب[٣] ، وقال شاعرُهُم[٤] فى رِجْلِ الأعرج ، وهو الحارثُ بن كعب بن سعد :

لا نَعْتَمِلُ الرِّجْـلِ ولا نَدِيهَا حتَّى ترى دَاهيـةً تُنْسِيهَا

• • •

ومن أشراف العُرجان ، الحارثُ بن شريك الشيبانىُّ ، وهو الحَوْفَزَانُ وكنيته أبو حمار ، وقال مَقَّاسُ العائذىُّ[٥] لبنى تَغْلب :

---

(١) اسمه الحارث بن تميم ، وبنوه يسمون الشقرات ، لأنه قال :

وقد أحمل الرمح الأصم كعوبه به من دماء القوم كالشقرات

انظر جمهرة الأنساب ٢٠٧ .

(٢) سمى القباع لأنه أتى بمكتل لأهل المدينة ، فقال : إن هذا المكتل لقباع ، والقباع : الواسع الرأس القصير ، فسمى به ، وكان الحارث أحد ولاة البصرة من قبل ابن الزبير ، وكان فقيها روى عن عمر وعائشة وحفصة وأم سلمة ، انظر الإصابة ٢٣٩ ، تهذيب التهذيب ١٤٤/٢ ، وقد هجاه الفرزدق حينما أراد أن يهدم داره هو وجرير ليكفا عن المهاجاة ، انظر النقائض ٦٨٤ .

(٣) وذلك ليخرج مثل سليط بن يربوع السالف الذكر فهو وإن كان ذا لقب فليس اسمه الحارث ، وعلى هذا فقولهم كل ذى لقب فى بنى تميم اسمه الحارث غير مطرد بدليل سليط هذا .

(٤) هو غيلان بن مالك الذى قطع رجل الحارث بن كعب كما سبق القول ، انظر النقائض والعقد .

(٥) هو أبو جلدة مقاس العائذى ويقال الغامدى ، ومقاس لقب اشتهر به لبيت شعر قاله ، أما اسمه فاختلف فيه ، فقيل إنه مسهر بن النعمان بن عمرو بن ربيعة بن تيم بن الحارث ، وقيل إنه مسهر بن عثمان بن ربيعة بن عائذة ، وقيل إنه يعمر بن عمرو أخو بنى عوف بن خزيمة ابن لؤى والأول أصح ، وهو شاعر مخضرم مجيد ، من قريش وكان حليفاً لبنى أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان ، انظر المؤتلف والمختلف ٧٩ ، معجم الشعراء ٤٠٥ .

لا تُوعدُونا بالهُذَيْلِ[١] فإنَّنَا مع الحَوْفَزَانِ يجْمَعُ الجَيْشَ غَازِيَا
فَتًى هو خيرٌ من أبيكم بقيّـةً كما نحن خيرٌ أنفساً ومَوَاليَـا
به تَحْلَمُ العذراءُ فى خِدْرِ أَهْلِهَا ولو ضَمَّها جمعُ الأَرَاقِمِ شَانِيَا[٢]

لأنه كان غَزَّاء لم ندرك فى هذا الباب مثله ، قال أبو عبيدة : كان جَرَّاراً[٣] ولم يكن زَجَّاء .

قال : وكان يقال : أمر بكر بن وائل إلى أعرجها حُمْرَانَ ابنِ عبدِ عَمْرو[٤] والحوفزان بن شريك ، هذا قولُ بعضهم ، وقال

---

(١) هو الهذيل بن هبيرة الأكبر التغلبى ، أبو حسان ، وكان قد أغار على بنى رياح بن يربوع من تميم يوم إراب فقتل منهم قتلا ذريعا وأصاب نعماً وسبى سبياً كثيرا وكان الهذيل يسمى مجدعاً ، وكان بنو تميم يفزعون به أولادهم وولدانهم ، انظر النقائض ٤٧٣ .

(٢) الأراقم : هم جشم رهط مهلهل وعمرو بن كلثوم وعمرو بن ثعلبة رهط الهذيل بن هبيرة — السالف الذكر — وحنش بن مالك ومعاوية والحارث بنو بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وإنما سموا بالأراقم لأن كاهنتهم نظرت إليهم وهم صبيان تحت دثار لهم فكشفت الدثار فقالت : كأنهم نظروا إلى بعيون الأراقم ، والأراقم : ضرب من الحيات ، الواحد أرقم والأنثى رقاء ، انظر النقائض ٣٧٣ وشانيا : مبغضاً .

(٣) الجرار : من قاد ألف فارس ، فإن لم يقد ألف فارس فليس بجرار ، النقائض ٩٨ ، والزجاء : القليل البضاعة ، والكلمة محرفة فى الأصل .

(٤) كان حمران بن عبد عمرو هو والحوفزان بن شريك على رأس جماعة من بكر بن وائل وهم شيبان وذهل واللهازم فى يوم جاوه ، وكانوا قد خرجوا يريدون الإيقاع ببنى يربوع رغم موادعة كانت بينهما إلا أن عتيبة بن الحارث بن شهاب التيمى تصدى لهم فى الطريق وحال بينهم وبين الماء مما اضطر معه الحوفزان إلى أن يعطيه ما معه من التمر على ألا يحول بينه وبين غارته ، وله عليه ألا يروع يربوعياً أبداً ، فأخذ عتيبة التمر وسمح لهم بالمرور . فصادف الحارث حيا من العرب هم بنو ربيع بن الحارث فأغار عليهم وهم خلوف فاستاق نعمهم وأخذ أموالهم فاستغاثوا بجيرانهم كليب بن يربوع فلم يستجيبوا لهم ، فذهب صريخهم إلى بنى منقر بن عبيد فخرجوا لنجدتهم ، واقتتلوا قتالا شديدا هزمت فيه بكر بن وائل وأسر حمران ، ولم يكن من همة لقيس بن عاصم المنقرى إلا أسر الحارث بن شريك إلا أنه لم يستطع اللحاق به ، فطعنه بالرمح طعنة أعرجه بها كما سيرد فى النص ، انظر النقائض ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

آخرون : أمر بكر بن وائل إلى أعرجها عِمرانَ بنِ مُرَّة[١] والحوفزان ابن[٢] الحارث بن شريك ، والقول الآخر أحقُّ بالصواب لمكان الشاهد ، قال شاعرُهم :

رأيتُ الأَعْرَجَيْنِ أَبَا حمارٍ ... وعمرانَ بنَ مُرَّةَ قد أَلَامَا

أتانى أنَّ حارثة بن وَعْلٍ ... تبدَّل بعدنا ملكاً هُمَامَا

وأنت لواءُ رُمْحِكَ فى عَمُودٍ ... وما أَلْوِيتُهُ إلاَّ غَرَامَا

سَتَبْنِى العنكبوتُ عليه بيتًا ... تجدُّ نُسُوجُه عاماً فعاماً

وكان الذى أعرج الحوفزانَ قيسُ بنُ عاصمِ المِنْقرىُّ ، قالوا : كان قيسُ بن عاصم المنقرى على أُنثى ، وكان الحوفزان على حِصان ، فلما خاف قيسُ بن عاصم أن يفوتَه نَجَلَهُ[٣] بالرُّمح فى غُرَابَةِ[٤] وَرِكِهِ فعرج منها ، فَسُمِّى الحوفزان حين حُفِزَ[٥] بالرُّمح ، وقال قيسُ بن عاصم فى ذلك :

---

(١) أما عمران بن مرة فله خبر آخر ، فقد كان على بكر بن وائل يوم زبالة ، وهو يوم خرج فيه أبو جعل أخو بنى عمرو بن حنظلة مغيراً ولحقه الأقرع بن حابس فى ناس من تميم كثير فرأسوا عليهم الأقرع فأغاروا على بكر بن وائل فلقوهم بزبالة فهزمت تميم ، فأما الأقرع وأخوه فراس فأسرهما بنو تيم الله ، وأما أبو جعل فأخذه عمران بن مرة ، وعلى ذلك فكلا الرجلين حمران بن عبد عمرو وعمران بن مرة كان إليه أمر بكر بن وائل فى وقعة من وقائعهم إلا أن الأول هزم وأسر والثانى حالفه النصر ، انظر النقائض ٦٨٠ .

(٢) كلمة ابن هنا زائدة وهى خطأ كما لايخفى فاسمه الحارث بن شريك ولقبه الحوفزان.

(٣) نجله بالرمح : طعنه ، أو رماه به .

(٤) كلمة غير واضحة فى الأصل ، ولعلها كما أثبت ، وقال فى القاموس : الغرابان طرفا الوركين الأسفلان يليان أعالى الفخذ .

(٥) حفزه : طعنه .

أفِي كلِّ عامٍ أنت نَاجِي طَعْنَـةٍ سوى يوم ماأُشْوِيتَ[١] يومَ رُؤُامِ

وأنشدنى :

تركـوا الحَوَائِم عاكفاتٍ حَوْلَهُ عجَلْنَ بين حَجَاجِهِ[٢] والمِعْصَم

والحوفـزانُ تداركتُـه سُربٌ بالمنقرىِّ جرا بِحَلِّ الأَلْجُمِ[٣]

حَفَزُوهُ والأَبْطالُ تُحْنَـز بالقَنَا بشباةِ أسمر كالجَدِيل مُقَوَّمِ

والدليلُ على أَنَّ الحوفزانَ يكنَّى أبا حمار[٤] قولُ ابن عَنَمة الضَّبِّىِّ[٥] ، وكان نازلاً فى بنى شيبان ويَغْزُو معهم :

لو كنتُ فى حَبْسِ بِسْطَام[٦] لَعَيَّمَنِى[٧] أبا حِمَار وأنت المرءُ تُتَّبَعُ

أكانَ حَظِّىَ من نَهْبٍ تُقَسِّمُـهُ نابٌ كزومٌ وبَكْرٌ ناحِفٌ جَذَعُ[٨]

* * *

---

(١) أشوى : أصيب فى غير مقتل .

(٢) الحجاج : العظم الذى ينبت عليه الحاجب .

(٣) هكذا رسم فى الأصل ، ولم أعثر عليه فيما بين يدى من مراجع ، وهو واضح التحريف .

(٤) كان للحوفزان ابنان أحدهما يسمى الحمار والثانى يسمى العفو أو العفا وهو الجحش ، وكان يكنى بالأول ، انظر النقائض ٥٥ .

(٥) هو عبد الله بن عنمة الضبى ، شاعر مخضرم شهد القادسية وهو أحد شعراء المفضليات انظر الإصابة الترجمة ٦٣٣٤ ، خزانة الأدب ٣/٥٨٠ .

(٦) هو بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى ، سيد شيبان ، ومن أشهر فرسان العرب فى الجاهلية ، يضرب المثل بفروسيته ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، قتله عاصم بن خليفة الضبى يوم الشقيقة ، وكان ذلك بعد البعثة النبوية ، انظر المحبر ٢٥٠ ، مجمع الأمثال ٢/١١٣ ، كامل ابن الأثير ١/٢٢٤ .

(٧) عيمه : سد شهوته إلى اللبن ، أو أعطاه من خيار المال .

(٨) النهب : الغنيمة ، والناب الكزوم : الناقة المسنة التى ذهبت أسنانها هرماً ، والبكر الناحف : ولد الناقة المفزول ويكون جذعاً متى دخل فى سنته الثانية .

وفى عِمرانَ بنِ مُرّة أخى دُبّ بن مرّة يقول ابن مُفرِّغ ، وعمرانُ هذا هو الذى أَسَر الأَقرعَ بنَ حَابِس ، والأَقرع أعرج وآسرُهُ[1] أعرج ، فقال ابن مُفَرِّغ :

لو كنتُ جَارَ بنى هندٍ تَدَارَكنِى ... عَوْفُ بنُ نُعْمانَ أو عِمْرَانُ أومَطَرُ
قومٌ إذا حَـــلَّ جارٌ فى بُيُوتِهِمُ ... لم يُسْلِمُوهُ ولم تَسْنَحْ له البَقَرُ

وقال أبو أوس يذكر الحوفزان الحارث :

لَعَمرو أَبيك ما ضَمَّتْ حِسَانٌ ... إلى كَشْحَيْنِ مثلك من نِزَار
أَعَزَّ إذا نفوسُ القَوْمِ ذَلَّتْ ... وَأَوْفَى عندَ نَائِبةٍ لجـار

فعندها قال الآخر :

لمن الديارُ بجانبِ الغَمْـرِ ... آياتُهن كَوَاضِح السَّطْرِ
يا حارِ أعطاك الإلـهُ كَمَا ... أثنى عليك أخو بنى جَسْرِ[2]
فلأَنْتَ أَكْسَبُهُم إذا افْتَقَرُوا ... ولأَنَّتَ أَجْوَدُهُمْ إذا تَثْرِى

وكان حَنْظَلَةُ بن عمـرو بن بشر بن مَرثد[3] أسر الحـوفزانَ

---

(١) فى الأصل : وأسير ، ولا يستقيم معها المعنى .

(٢) فى الأصل : حسر بالحاء المهملة ، وهو خطأ ، وبنو جسر هم ولد النخع بن عامر بن علة وهم مالك وعوف ومن بطونهم : صهبان ووهبيل وجسر وجذيمة وقيس وحارثة بنو سعد بن مالك بن النخع وبطون غير هؤلاء كثيرة وهم يمنيون ، انظر جمهرة الأنساب ٤١٤ ، ٤١٥ .

(٣) صحة هذا الاسم : حنظلة بن بشر بن عمرو بن عدس ، وكان هو الذى أسر الحوفزان الحارث بن شريك حين أغار على بنى يربوع بذى بيض ، ثم من عليه وأطلقه بلا فداء ، انظر النقائض ٧٣ ، ٢٨٥ ، ٢٦٨ ، ٧٨٤ .

وجَزَّ نَاصِيَتَهُ ومَنَّ عليه قيسُ بن عاصم[١] طعنه فى وَركِهِ حَفَزَه بها فسُمِّى الحوفزان .

وذكر شاعرُ بنى شيبان فَرَّة كانت من قيس بن عاصمٍ والحوفزان يطلبُهُ ، فقال :

بِحَّال جَـدٍّ[٢] يَنْمِلقُ الصَّخْرَ بعدَما أَظَلَّتْكَ خيلُ الحارثِ بن شَرِيكِ
أَلَمَّتْ بنا وَجْهَ النهار وقد طَوَتْ بك العِيسُ بطن المنتدى وأَرِيكِ[٣]
ولو أصبح السَّعْدِىُّ قيسٌ بأَرضنا لأَمسى بجبلِ المال غير مليكِ

وقيسُ بنُ عاصم أَحدُ بنى مالك الأَعْرج ، ولم يكن إبله تمّت ألفًا ، ولو تَمّت ألفاً لقد كان فَقَأَ عينَ فَحْلِها[٤] ، ولو فعل لرفعَ شعراؤُهم ذكرَ ذلك ، على أَنَّ قَيْساً نفسَهُ قد كان شاعراً وكان أَحدَ حُلماء العَرب ، وقد جاء فى الحديث « أَنَّه سَيِّدُ أَهل الوَبَر » وكان أَحد الفرسان المعدودين ، وكان بعيد الصوت فى العرب .

* * * —

ومن العرجان الأَشراف ، الأَقـــرعُ بن حَابِس ، وكان أَحد حكَّام العرب بُعكَاظَ ، وقد تحاكمت إليه العربُ فى التُّنُورات ، وقد سَاير النبى عليه السّلامُ فى مَرْجِعه من فتح مكة ،

---

(١) فى هذه العبارة خطأ أوسقط كما هو واضح فقد سبق القول أن حنظلة بن بشر هو الذى من عليه وأطلقه ، أما قيس بن عاصم فلم يلحق به حتى يأسره فيمن عليه .

(٢) الجد : الحظ والنصيب .

(٣) أريك : قال فى معجم البلدان : هو جبل بالبادية يكثرون ذكره فى أشعارهم ثم نقل عن أبى عبيدة أقوالا أخرى فى التعريف به ، انظر معجم البلدان ١/٣٢٨ ، ٣٢٩ .

(٤) سوف يرد الحديث عن عادة العرب فى هذا فيما يلى من الكتاب .

وقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم : « ما أخَّر قومك عن مثل هذا الأمر» ؟ قال : لم يتأخرْ عنك قومٌ معك منهم ألفُ رجل يعنى مُزَيْنَة وفى تصديق ذلك يقول عبّاسُ بن مرداس[١] :

صَبَحْناهُم بألْفٍ من سُلَيْمٍ وألْفٍ من بنى عُثْمانَ وَافِ

وبنو مُزينة هم بنو عثمان[٢] ، ومزينة أُمُّهم ، ولكن الأُمَّ إذا كانت ذاتَ نَباهةٍ أضافوا الولدَ إليها وإن كان الأَبُ نَبيهاً .

وزعم أبو عبيدة : أن أول حكم فى الجاهلية جَارَ فى الحكم الأقرعُ بن حابس ، وقال : لأنه نَفَّر جريرَ بن عبد الله على الكلبىِّ[٣]

---

(١) البيت التالى ليس للعباس بن مرداس بل هو لبجير بن زهير بن أبى سلمى قاله حين فتحت مكة ، انظر معجم الشعراء ٥٨ . وقد اختلط فى ذاكرة المؤلف ببيت آخر قاله العباس ابن مرداس يوم حنين هو :

فجئنا بألف من سليم عليهم لبوس لهم من نسج داود رائع

انظر سيرة ابن هشام ٤٦٣/٢ .

(٢) وبطون أخرى غيرهم يجمعهم اسم مزينة ، انظر جمهرة الأنساب ٤٨٠ .

(٣) هو خالد بن أرطاة الكلبى ، وكان الذى جر المنافرة بينه وبين جرير أن كلباً كانت قد أصابت رجلا من بجيلة من بنى عادية اسمه مالك بن عتبة فوافوا به عكاظ ، فمر مالك هذا بابن عم له يقال له القاسم بن عقيل يأكل تمرا ، فتناول من ذلك التمر شيئاً فجذبه الكلبى الموكل به ، فقال له مالك : إنه رجل من عشيرتى ، فقال له الكلبى : لو كانت لك عشيرة منعتك ، فانطلق القاسم بن عقيل إلى بعض عشائره ليعملوا على استنقاذ الأسير فرفضت إلا ما كان من جرير فقد ذهب بقومه واستنقذه ، فقامت كلب دونه : فقال جرير : زعمتم أن قومه لا يمنعونه ، فقالت كلب : جماعتنا خلوف عنا ، فقام جرير وقال : لو كانوا حضوراً لم يدفعوا عنه شيئاً ، فقالوا : كأنك تستطيل على قضاعة كلها فقال : إن شاءوا قايسناهم المجد — وزعيم كلب يومئذ خالد بن أرطاة — فقال : ميعادك سن قابل سوق عكاظ فجمعت كلب وجمعت قسر ووافوا عكاظ فحكموا الأقرع بن حابس التميمى ، وبعد أن سمع كلام المتنافرين حكم لجرير إعجابا به قائلا : لو فاخرت قيصر ملك الروم وكسرى عظيم الفرس والنعمان ملك العرب لنفرتك عليهم ، انظر النقائض ١٤١ .

حين وجده أقربَ إلى مُضر[١] فلعلَّه إذا كان أقرب إلى مُضَر وإلى نِزَار أن يكون أحقَّ بالنُّفُورة لفضله فى مُضَرَ أو فى نِزار ، ولعله رأى مع ذلك جريراً فى نفسه أكثرَ من هذا الرجل الذى نَافَره[٢] ، وإنما ينبغى أن يحتجَّ بهذا رجلٌ من قُضَاعة ، فأما أبو عبيدة فما يدعوه إلى هذا ؟ وليس به فقرٌ إلى هذه الحجة كفقر القضاعى إليها .

وكان الأقرعُ أقرعَ الرأس سَنُوط اللحية ، أعرج رِجل اليُسرى ، ولذلك قال له الحُصَينُ بنُ عوفِ بنِ القَعْقَاع[٣] :

يا أقرعَ الرأسِ من القَذَالِ[٤] وأعْرَجَ الرِّجْلِ من الشِّمَالِ

وسنذكرُ الأقرعَ فى موضعٍ ذكْرِنا للقُرْعانِ فى آخر الكتاب إن شاء الله .

* * *

ومن العُرجان هَمِيمُ بنُ صعصعةَ بن ناجية بن عقال ، وهو عمُّ الفرزدقِ وبه سُمِّىَ الفرزدق هُمَام ، وكان غالبُ بن صعصعة يُسمَّى الفرزدقَ هميم ، وهميم بن صعصعة هو الذى يقول :

---

(١) ذلك أنهم ذكروا أن خثعم وبجيلة هم من ولد أنمار ، وبعض العرب يزعمون أن أنماراً ابن نزار فهو أخو مضر وربيعة وفى هذا شك ، ولكن الأقرع بن حابس أخذ بهذا وفضله على قضاعة لأنه بقرابته إلى مضر وربيعة أفضل وأكثر عدداً من قضاعة ، انظر جمهرة الأنساب ١٠ ، والنقائض ١٤٢ .

(٢) يميل الجاحظ إلى إدخال هذا العنصر فى تفضيل الأقرع جريراً على خصمه ، ويأخذ على أبى عبيدة فيما يلى اقتصاره على الحجة الأولى التى ذكرها خصومه القضاعيون .

(٣) هكذا ورد الاسم فى الأصل ، وهو خطأ صحته الحصين بن القعقاع بن معبد الدارمى وهو من بنى عبد الله بن دارم من تميم ، وقد أكثر من هجاء الأقرع بن حابس بعد هزيمته فى يوم زبالة ، انظر بعض شعره فى هذا فى النقائض ٦٨١ .

(٤) القذال كسحاب : جماع مؤخر الرأس .

لَعَمرُو أبيك فـلا تكذبنْ فقد ذَهَبَ الخيرُ إلاَّ قليلا
وقد فُتِنَ الناسُ فى دينهم وخلّى ابنُ عفانَ حُزْناً طويلاً[١]

وهو الذى قال فى عرجه ، وعَرِج وهو شابٌّ :

أعـوذُ بالرحمن من سوءِ العَرَجْ ومن خُمَاعٍ وظِلاَع وعَرَجْ[٢]
إن الفتاةَ بالفتى جِـدٌّ سَمِجْ وكنتُ كالظبى إذا الظبىُ مَعَجْ[٣]

* * *

ومن العرجان الأشراف ، أبو الأسود الدُّؤلى ، ظَالِمُ بن عمرو بن سُفْيان ، وهو يعدُّ فى العرجان ، وفى مفاليج الأشرافِ ، وفى رجال الشيعة ، وهو رأس النحويِّينِ وبَنُوه بعده ، وكان شاعراً ، داهياً ، ويُعدُّ فى البُخْر[٤] ، وفى البُخَلاء ، وهو الذى قال له ابن عباس لما مرّ به وهو يعرُج : لو كنت جَمَلاً كنت ثُفَالاً[٥] .

* * *

وقال مَسْلَمة بن مُحَارب[٦] : من العرجان بنو الأَدْرَم[٧] وأصابهم ذلك فى حرب كانت ، وقال الشاعر :

---

(١) انظر الشعر والشعراء ٤٧٢/١ ، وقد نسب البيتان لابن الغريرة النهشلى فى كامل المبرد ٣٤/٢ ، ومعجم الشعراء ٣٤٩ .

(٢) الخماع كغراب : العرج ، والظلاع أيضا كغراب : داء فى قوائم الدابة .

(٣) معج : أسرع فى جريه .

(٤) البخر : الرائحة الكريهة تنبعث من الفم .

(٥) الجمل الثفال : البطىء .

(٦) هو مسلمة بن عبدالله بن محارب الفهرى البصرى النحوى المقرئ ، كان صاحب فصاحة ، ترجمته فى لسان الميزان ٣٤/٦ .

(٧) فى الأصل : الأروم وهو تحريف ، وهم بنو تيم الأدرم بن غالب بطون كثيرة يرجع نسبها إلى غالب بن فهر بن مالك من قريش ، انظر جمهرة الأنساب ١٧٥ ، ١٢ .

وتَيْم غَـدَاةَ الكُومِ أَدْبَرَ مُقْبِلاً وأَقْبَل إِقْبَالَ اللُّيُوثِ الضَّرَاغِم

كأنّه رماهم وهو مُوَلٍّ كما يحكون ذلك عن الأتراك[1]، فردّ عليه الآخرُ وقلب الكلام وقال :

وتيمٍ غـداة الكُومِ أقبل مُدْبِراً وأَدْبَرَ إِدْبَارَ المحضَّنَةِ الذُّعْر

وذكر آخرٌ فقال :

وصادف سيفُ الجَعْدِ أَخْمَصَ رجْلِهِ فعاد دُرَيمَ الكَعْبِ يمشي على العَصَا

* * *

ولما أهوى قِرْنُ أبي الزُّبَيْر إليه بالسيف سقط على قفاهُ ورفع رجليه ، فلم يجد مضرباً إلاّ أخمصَ رجليه فعَرِجَ من ذلك ، وكان إذا مشى أخذ عصاً بيمينه وعصاً بشماله ، فقال ابنُ أبي كريمة[2] :

لقد زَادَكَ الرَّحْمَنُ فَضْلَ تَزَيُّدٍ على كلِّ مَشْلُولِ القَوَائِمِ أَعْرَج

* * *

ومن العُرجان ، الرَّبيعُ بن زياد بن أبي سفيان[3] ، فداه سلمُ بنُ زياد[4]

---

(١) ذكر الجاحظ أن من فضائل الترك : أنه يصيب بسهمه وهو مدبر كما يصيب به وهو مقبل ، انظر مناقب الترك ٤٦ ، ٦٢ .

(٢) هو أحمد بن زياد بن أبي كريمة من معاصري الجاحظ ، وله أخبار طريفة في البخلاء ١/١٣٣ ، ٢/١٤٥ ، والحيوان ٣/١٠٨ ، ١٠٩ .

(٣) انظر المعارف ٣٤٨ .

(٤) سلم بن زياد من كبار قواد بني أمية ، ولي خراسان ليزيد ، وكان أحد بني زياد ، وفيه يقول ابن عرادة :

عتبت على سلم فلما هجـــرته وخالطت أقواماً بكيت على سلم

المعارف ٣٤٨ .

حين أسرته الخَزَرُ بمائة ألف درهم[١] ، وكانت عنده بنت القَعْقاعِ بن شَوْر[٢]

* * *

ومن العُرجان ، إبراهيمُ البيطارُ قاتلُ يحيى بن زيد بن علىّ[٣] ، قتله أبو مسلم وهو شيخ كبيرٌ ووقف بنفسه على بابه وأمر بإخراجه ، والذى تولَّى ذلك سليمانُ بن كثير الخزاعى النقيب ، فقال له أبومُسْلم : أكنتَ شَهِدْتَ قتلَ يحيى بن زيد ؟ قال : نعم وكنتُ مع مولاى مُكْرَهاً ، قال : هذا كان خُرُوجُك مُكْرَهاً ، أفأُكْرِهْتَ على الرَّمْىِ ؟ قال : نعم ، قال : فهذا أُكْرِهْتَ على الرَّمْىِ ، أفأُكْرِهْتَ على الإصابة والتَّسْديد ؟ ثم أمر بضرب عنقه ، وكان أبو مسلم لا ينظرُ إلى مضروب العنق إلاَّ ما كان من ضرب عُنُقِ إبراهيمَ البيطارِ وسليمان بن كثير .

* * *

---

(١) الأقرب إلى الصحة أن الذى أسر هو أخوه أبو عبيدة بن زياد ، وكان ذلك فى فتح كابل ، وقد أرسل سلم طلحة الطلحات ليفتك أخاه من الأسر ، وتختلف قيمة الفدية من سبعمائة ألف درهم كما ورد فى المعارف ٣٤٨ إلى خمسمائة ألف كما ورد فى فتوح البلدان ٣٨٩ ، أما الربيع بن زياد فلم يرد له ذكر فى هذه الفتوح .

(٢) كان أحد قواد بنى أمية ، وهو من بنى عمرو بن شيبان ، تابعى من الأجواد وهو الذى قال فيه الشاعر :

وكنت جليس قعقاع بن عمرو ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن إن نطقوا بخير وعند الشر مطراق عبوس

انظر فى ترجمته : المعارف ٩٩ ، جمهرة الأنساب ٣١٩ ، البيان والتبيين ٤٧/١ ، ٣٣٩/٣ لسان الميزان ٤٧٤/٤ ، معجم الشعراء ٣٣٠ .

(٣) كان أبوه زيد بن على بن الحسين قد قام بالكوفة على هشام بن عبد الملك فكلف هشام يوسف بن عمر الثقفى بمحاربته ، فأرسل إليه جيشاً فأصيب زيد بسهم فقتل ، واختفى ابنه يحيى عند بشر بن مروان ، ثم قام على الوليد بن يزيد فقتل بناحية الجوزجان أيام نصر بن سيار والذى أمر بقتله سلم بن أحوز المازنى ، انظر جمهرة الأنساب ٥٦ ، ١٠٧ ، ٢١٢ ، المعارف ٢١٦ .

قال : ومن العُرجان ، ابنُ أَنْفِ الكَلْبِ الصَّيْدَاوى[١] ، طعنه سُمَيْرُ بن الحارث الضَّبِّىُّ فأَعرجه ، وقال :

تركتُ ابنَ أَنْفِ الكَلْبِ يَنْقُلُ رِجْلَهُ ... يَخِرُّ على حُرِّ الجَبِينِ ويَعْثُرُ
إذا قام لم يَحْمَسْ على الأَرضِ رِجْلَهُ ... وزَيْدٌ صَرِيعٌ عنده مُتَمَطِّرُ[٢]
أَردتَ التى إنْ مت أَورثتُ مَجْدَهَا ... وإنْ عشتُ يوماً كان للحى مَفْخَرُ

* * *

ومن العُرجان ومن يجوزُ فى النَّوْكى ، الأَعرجُ المَسْعُودىُّ ، وهو الذى قال لَرَقَبَةَ بن مَصْقَلة[٣] متى يَحْرُمُ الطعامُ على الصَّائِمِ ؟ قال : إذا طلع الفجرُ ، قال : فإن طلع الفجرُ نصف اللَّيل ؟ قال : الْزَمِ الصَّمْتَ الأَوَّلَ يا أَعْرَج .

* * *

ومن العرجان ثم من النُّسَّاك الزُّهاد ، ومن القُصَّاصِ الخطباء ، ومن المفوَّهين البُلَغَاء أَبو حازم الأَعرج[٤] ، مولى بنى ليث بن بكر ثم أَحدُ بنى شِجع بن ليث[٥] ، مات فى خلافة أَبى جعفر سنة أَربعين

---

(١) هو عباد بن أنف الكلب الصيداوى من بنى أسد ، أحد المعمرين ، عمر عشرين ومائة سنة ، انظر المعمرين ٢٥ .

(٢) لم يحمس : لم يقو على إقامتها وصلبها ، ومتمطر أى ينزل عليه المطر فى العراء .

(٣) هو رقبة بن مصقلة العبدى ، محدث ثقة مأمون رغم دعابة كانت فيه توفى سنة ١٢٩ هـ. انظر تهذيب التهذيب .

(٤) هو سلمة بن دينار ، أبو حازم الأعرج المدنى القاصى ، كان يقص فى مسجد المدينة ، وكان له حمار ينقله إلى المسجد ، يعد ثقة مأمون الحديث ، توفى فى خلافة المنصور بعد سنة ١٤٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ٤/١٤٣ ، المعارف ٤٧٩ .

(٥) فى الأصل أسجع ، والصحيح : شجع بن عامر بن ليث ، انظر جمهرة الأنساب ١٨٢ ، ٤٦٥ .

ومائة ، وهو الذى قال : اضمنوا لى خَصْلَتين أَضْمَنْ لكم الجنة ، اعملوا ما تكرهون إذا أحبَّ اللهُ ، واتركوا ما تحبُّونَ إذا كره اللهُ .

* * *

ومن العُرجان ، ثم من أصحاب الفتوح والزُّحُوف ، مُوسى بن نُصَيْر ، قال أبو الحسن : رأى الوليدُ بنُ عبد الملكِ فى المنام أنَّ رجلًا من أهل الأَندلس أعرجَ يكنى أبا عبد الرحمن من أهل الجنة يفتحُ الله على يديه المغرب ، فكتب إليه موسى بن نصير : أنام اللهُ عينَكَ يا أميرَ المؤمنين ، أنا أبو عبد الرحمن وأنا موسى بن نُصَير وأنا أعرج وأنا بالأَندلس ، فكتب إليه الوليد : أنت موسى بن نصير من أهل كفر هندا ولستَ به ، فاطلب إلىّ الرجل الغربىّ الذى وصفتُ لك ثم احْمِلْهُ إلىّ ، فسأَل عنه بعد ذلك فإذا كما وصف ، وإذا هو عبد الله فحمله إليه[1] .

* * *

---

(١) هـذا خبر غريب ، يفهم منه أنه كان هناك اثنان باسم موسى بن نصير ، ولم أعثر على شئ من ذلك فيما بين يدى من كتب التراجم والتاريخ والفتوح ، والذى نعرفه عن موسى ابن نصير صاحب فتوح الأندلس أن أباه سبى من جبل الخليل من أرض الشام فى زمن أبى بكر وكان اسمه نصراً فصغر وأعتقه بعض بنى أمية ورجع إلى الشام ، وولد له موسى بقرية يقال لها كفر مرى ، وكان أعرج ، وأنه ولى إفريقية من قبل عبد العزيز بن مروان أو فى زمن الوليد بن عبد الملك سنة تسع وثمانين ، فأرسل مولاه طارق بن زياد إلى الأندلس ففتح بعض بلادها ثم اشتركا معاً فى فتح مدنها الأخرى ، أما فتوح المغرب فقد تمت قبل ذلك فى عهد عثمان رضى الله عنه وعلى يد عبد الله بن أبى سرح واستكمل فتوحها قواد آخرون كان من بينهم موسى بن نصير ، انظر فتوح البلدان ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، معجم البلدان ٤/٢٩١ ، المعارف ٥٧٠ .

ومن العرجان ، الأَحوصُ بنُ محمد الأَنصاريُّ الشاعر[١] ، قال يونس بن حبيب النحويّ[٢] قدم الأَحوصُ البصرَة فنزل على عمرو ابن عبيد[٣] ..[٤] فجاء يتوكأُ على عصاً حتى جلس فى الحَلَقَة فتلاحيا فأَخذ عمرو عصاه فضرب بها رجله الأُخرى فكسرها[٥] ثم حمل إلى منزله ؛ ثم مرّ به الفرزدقُ فقال له الأَحوصُ : مُذْ كم عهدُك بالزنا ؟ قال : مذ ماتت العجوزُ[٦] .

• • •

قال : ومن العرجان ثم [من][٧] أهل الشرف والجمال المنعوت ، عمرٌ[٨] بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب ، وقد وَلِيَ اليمنَ لأَبى العبّاس[٩] وكان يَدَعُ الخروجَ لكثرة نظر الناس إليه .

• • •

---

(١) الأحوص لقبه وسمى به لحوص أى ضيق فى مؤخر عينيه ، واسمه عبد الله على ما قيل ابن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى ، شاعر أموى جيد الطبع صافى القريحة ، ولكنه كان قليل المروءة والدين هجاء للناس، ترجمته فى الأغانى ٤/٢٢٤–٢٦٨، مختار الأغانى ٥٢١–٥٤٢ .

(٢) إمام نحاة البصرة فى عصره ، أخذ عن أبى عمرو بن العلاء وأخذ عنه سيبويه وحكى عنه فى كتابه ، وأخذ عنه أيضاً الكسائى والفراء ، وكان له مذاهب وأقيسة تفرد بها ، كما كانت حلقته بالبصرة مقصدا لطلبة العربية وفصحاء الأعراب والبادية ، توفى سنة ١٨٣ هـ ، انظر نزهة الألباء ٤٩ –٥١ ، معجم الأدباء ٧/٣١٠ .

(٣) من شيوخ المعتزلة وأحد الزهاد المشهورين ، توفى بمران سنة ١٤٤ هـ ، ورثاه المنصور ، ولم يسمع بخليفة رثى أحداً سواه ، ترجمته فى تاريخ بغداد ١٢/١٦٦ ، المعارف ٤٨٢ .

(٤) كلمة مطموسة فى الأصل .

(٥) فى الأصل مكرها .

(٦) أى أمه ، انظر عيون الأخبار ٤/١١٠ .

(٧) زيادة لابد منها لم ترد فى الأصل .

(٨) فى الأصل : عمرو وهو خطأ ، انظر جمهرة الأنساب ١٥٢ .

(٩) فى المرجع السابق : أنه ولى مكة للسفاح وولى اليمن لداود بن على خمسة أشهر .

ومن العرجان ، أَبانُ بن عثمان البَجَلِيُّ الأَعْرَج ، وكان صاحب أخبارٍ ، وقد أكثر عنه محمد بن سَلَّام الجُمَحِيُّ .

* * *

ومن العُرجان ، أَبو راشد الضَّبِّيُّ ، وكان أعرج ثم عَمِيَ ثم أُقعِدَ من رجليه ، فقال حين عَمِيَ ، وقد كان ابنُ حبيب وهب له عصًا حين عَرِجَ وكان يمشي عليها :

وَهَبْتَ عَصَا العُرْجَانِ عَوْناً ومِرْفَقاً ... فأَيْن عَصَا العُمْيَان يا بْنَ حَبيبِ

فقد صِرْتُ أَعْمَى بعدأَن كنت أَعْرَجَا ... أَنُوءُ على عُودٍ أَصَمَّ صَلِيبِ

فلما صار أَعرجَ أَعمَى لم يتعاطَ المَشْيَ ، فلما طال قُعُوده أُقعِد من رجليه ، فقال :

أَرى كلَّ دَاءٍ فيه للقسوم رَاحَةٌ ... وداؤُكَ مَسْمُورُ الرِّتَاج عَسِيرُ

فَصَبْراً فإِن الصّبر أَجْدَى مَغَبَّةً ... عليك وأَنواعُ البلاءِ كثيرُ

فقال حين جَفَاه أَصحابهُ وجيرانُه وأَهلُه :

قد كنتُ أَنْضَى الخافقيْن برحْلَتي ... فصارَ جِمَاعُ الأَرْضِ كِفَّةَ حَابِلِ[1]

أَبُول وأَنْجُو فى مكانى ومَقْعَدِى ... وعندى عجوزٌ ما تُعِينُ بطَائلِ

وأَبْكارُ صِدْقٍ من عَمَائلِ مَعْشَرٍ[2] ... كَوَاسدُ قد عُوِّدْنَ بعضَ المَعَازِلِ

كَشَأْنِ فتاةِ الحىِّ فى الدارِ مِغْزَلٌ ... وما البَعْلُ إِلاَّ محفلٌ للعَقَائلِ[3]

---

(١) أنضى : أقطع بصيغة أفعل التفضيل ، وكفة الحابل بكسر الكاف وضمها : حبالة الصائد.

(٢) فى الأصل : وإنكار ولا يستقيم معها المعنى وقد صححتها كما أثبت لتصح المقابلة بين العجوز فى البيت السابق والأبكار فى هذا البيت ، والعقائل هنا جمع عقيلة وهى السيدة الكريمة.

(٣) العقائل هنا : سادة القوم .

وفى الموت للزَّمْنَى جَمَالٌ وراحَةٌ ... وفى القبر سترٌ للفقير المُحَامِلِ[١]

وما كلُّ مُحتاجٍ يجودُ بِعِرْضِهِ ... ويُؤْثَرُ فى الأَقْوَامِ لُؤْمُ المَدَاخِلِ

كذاك وما للمرءِ صَبْرٌ وَحِسْبَةٌ ... إذا ما ابْتُلِى فيها بجُوعٍ مُطَاوِلِ

وليس بمعذورٍ إذا طال صَمْتُهُ ... فيهلَكَ بُؤْساً من مَخَافَةِ عَاذِلِ

وما ذاك من عَزْلٍ ولا خَوَرٍ بِهِ ... فيَثْنِى عليه لؤمُه فى المَحَافِلِ[٢]

ولكنه ما دام حيًّا كميِّتٍ ... فلا بُدَّ أنْ يَحْيَا ببعضِ المآكِلِ

يُقِيمُ حُشَاشاتِ النفوسِ بمَذْقَةٍ ... ويشربُ غِبًّا من فضول المَنَاهِلِ[٣]

ويَضْبِرُ[٤] ضَبْرَ العِيرِ من دُونِ رهطه ... وَيَجْثَا حديثاً غِبُّهُ غير طائِلِ

ويشكو بطَرْفِ العين إيماضَ مُشْفِقٍ ... إلى كلِّ مجهولِ المناسب خَامِلِ[٥]

سأَعرفُ قومى ثم أعرف جيرتى ... وما أنا عن ذَمِّ القريب بغافلِ

ولا أشتهى ذكر اللئام تكلُّفاً ... فأُصبحَ فيهم عارفاً مثلَ جاهلِ

وأسأَلُ ربِّى أن يُنَشِّطَنِى لهم ... ويَشْرَحَ صدرى بالهجاء المُذاحِلِ[٦]

ويَرْزُقَنِى فيهم عَرُوضاً محببا ... وصِدْقَ مقالٍ غير قيل الأَباطِلِ

فيصبح وَسْمِى لائحاً بجلودهم ... وأعلم أنِّى مُدْرِكٌ بطَوَائِلِ[٧]

---

(١) الزمنى : ذوو العاهات ، والمحامل : هو الكل والعيال على غيره .

(٢) العزل : الاعتزال والبعد عن الناس ، والخور : الضعف ، ويثنى : يرجع .

(٣) الحشاشة : بقية الروح فى المريض أو الجريح ، والمذقة : الكمية من اللبن ممزوجة بالماء ، والغب : الشرب مرة بعد مرة وليس دائماً ، والفضول : البقايا .

(٤) يضبر : يجمع قوائمه ويثبت قلقا لانفراده عن رهطه .

(٥) المناسب : النسبة والأصل .

(٦) المذاحل : ما فيه ذحل وهو الحقد والبغضاء .

(٧) الطوائل جمع طائلة وهى الثأر .

وكان بَكْرُ بنَ بَكَّار إذا أُنْشِدَ قولُه :

ولكنه ماذام حيًّا كَمَيِّتٍ فلابدَّ أن يَحْيا ببعض المآكل

أنشد قوله الآخر :

على كلِّ حالٍ يأْكلُ المرءُ زَادَهُ على الضُّرِّ والسَّرَّاءِ والحَدَثَانِ[1]

* * *

قال : وقُتِل لبعض العرب بَنُون ، فاشتد حُزْنه وترك كلامَ الناسِ دهراً ، فقيل له بعد أن رأوه قد تحدّث وضَحِك : نَرَاك قد تحدثْتَ وضحِكت ! قال : كان جُرْحاً فبرأ .

وقالت الخنساء :

تَرتعُ ماغَفَلَتْ حتى إذا ادّكرت فإنَّما هى إقبالٌ وإدْبارُ[2]

وقال أبو العتاهية :

فكما تبلى وجوهٌ فى الثَّرَى فكذا يَبْلَى عليهنَّ الحَزَنْ[3]

---

(١) البيت فى مجالس ثعلب ٤٢١ ، عيون الأخبار ٣/٥٧ ، وحدثان الدهر : نوبه .

(٢) البيت من قصيدة لها فى رثاء أخيها صخر ، وهى تصف فيه ناقة ثكلت ولدها فهى ترتع إذا غفلت ثم إذا ذكرته راحت تقبل وتدبر بسرعة كبيرة حتى كأنها تجست من الإقبال والإدبار ، انظر الديوان ٧٣ ، الشعر والشعراء ١/٣٤٧ ، البيان والتبيين ٣/٢٠١ ، الحيوان ٦/٥٠٧ .

(٣) البيت فى ملحق ديوان أبى العتاهية ٦٦٤ نقلا عن البيان والتبيين ٣/١٩٧ ، عيون الأخبار ٥٧ .

[1]قال : ولما نظرت نائلةُ بنت الفَرَافِصَة[2] فى المرآة فرأت حُسْنَ ثَنَاياها تناولتْ فِهْراً[3] فدقَّت به ثناياها فقيل لها فى ذلك ، فقالت : إنِّى أرى أن الحزن يَبْلى كما يَبْلى الثوب ، فَخِفْتُ أن يَبْلى حُزْنى على عثمان فأتزوّج بعده[4] .

• • •

ومن العرجان الأشراف ممّن له صحبةٌ ، مجالدُ بن مسعود السُّلَمى[5] ، ذكر إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : كان الأسودُ ابن سُرَيْع[6] يَقُصُّ فى ناحية المسجد ورفع الناس أيديَهُم فأتاهم

---

(١) من هنا تضطرب صفحات المخطوطة ، فعلى حين تسير الأرقام متسلسلة يختلط الكلام ويختل المعنى ، وقد أمكننى بعون الله ترتيبها على النحو الذى أشرت إليه فى المقدمة مع الصفحات التى حدث فيها الخلط .

(٢) هى نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن ثعلبة بن الحارث بن الحصين الكلبى ، وهذا هو الفرافصة بفتح أوله ، وكل اسم فى العرب غيره فرافصة بضم أوله ، انظر قصة زواجها من عثمان رضى الله عنه وإخلاصها له ودفاعها عنه حين حوصر ، فى فصل المقال ٣٢٨ ، الأغانى ٣٢٢/١٦ ، العقد الفريد ٩١/٦ .

(٣) الفهر : الحجر قدر ملء الكف يدق به .

(٤) ذكر أبو عبيدة البكرى فى فصل المقال أن معاوية ألح على نائلة بالزواج بعد وفاة عثمان رضى الله عنه ، وأنها سألت نساءها : ماذا يعجب الرجال فى ؟ فقلن لها : ثناياك فتناولت فهرا فدقت به ثناياها .

(٥) مجالد بن مسعود السلمى ، قال البخارى وابن حبان : له صحبة ، وقد قتل فى الفتنة التى حدثت بالبصرة قبل يوم الجمل ، انظر ترجمته والنص الذى أورده الجاحظ هنا فى الإصابة الترجمة ٧٧١٨ .

(٦) الأسود بن سريع بن حمير التميمى السعدى الشاعر ، كان أول الإسلام قاصا وهو أول من قص فى مسجد البصرة ، وكانت له دار بحضرة الجامع بها ، توفى فى عهد معاوية ، وقيل سنة ٤٢ هـ . انظر الإصابة الترجمة ١٧٠ .

مجالدُ بن مسعود وكان فيه قَزَل ، فأَوسَعُوا له ، فقال : واللهِ ماجُئت لأَجالِسَكُم وإن كنتُم جلساء صِدْقٍ ، ولكنِّى رأيتُكم صَنَعْتم شيئاً فشفر[1] الناس لكم ، فإياكم وما أنكر المسلمون .قالوا : والقَزَلُ أسوأ العرج ، هكذا الحديث .

* * *

ومن العُرجان ، المِنْهَالُ العنبرىّ وهو الذى يقول :

أَلِفْتُ العَصَا وابتزنى الشَّيْبُ وانتهت ... لِدَاتِى وأَوْدَى كُلُّ لَهْوٍ ومَقْصِدِ

وظِلتُ أَزُجُّ[2] النَّفْس وهى بطيئةٌ ... إلى اللَّهْوِ زَجِّى بالثَّفالِ المُقَيَّدِ[3]

فأَصْبَحْنَ لايَخْضِبْنَ كفًّا لِزينةٍ ... من اجْلِى ولايَكْحَلْنَ عينًا بإثْمِدِ

وهذا الشاعرُ وإن خبّر أنَّه يمشى على العصا فلم يُخَبِّر أنه أعرج ، وقد تعرّض للكبر من الضعف ما يدعوه ذلك إلى أخذ العصا ، وفيه قال الأول :

الدهـرُ أفْنَانى وما أَفْنَيْتُـه ... والدَّهْـرُ غَيَّرنى وما يَتَغَيَّرُ

والدَّهْرُ قَيَّدَنِى بقيدٍ مِرْمَلٍ[4] ... فمشيتُ فيه وكلَّ يومٍ يَقْصُرُ

إنَّ امرأً أمسى أبوه وأُمُّـه ... تحت التراب لحقُّ من يتفكرُ

---

(١) شفروا : تطلعوا إليهم .

(٢) أزج : أطعن وأحث .

(٣) هاتان الكلمتان غير واضحتين فى الأصل ، ولعلهما كما أثبتنا ، والثفال : الجمل البطىء .

(٤) المرمل على وزن منبر : القيد الصغير .

ومن هذا الشكل قوله :

آتى النَّدىَّ فلا يُتَمَرَّبُ مَجْلِسِى ... وأقود للشرفِ الرفيع حِمَارَا[١]

ومن هذا الشكل قوله :

إذا أقوم عَجَبْتُ الأَرض مُعْتَمِداً ... على البَرَاجِم حتَّى يَذْهَبَ البَقَرُ[٢]

ومن هذا الشكل قوله[٣] :

ما للكواعِبِ يا دهماءُ قد جَعَلَتْ ... تَزْوَرُّ منِّى وتُلْقَى دُونِىَ الحُجَرُ[٤]

قد كنتُ فَرَّاجَ أبْوَابٍ مُغَلَّمَـةٍ ... تَعْشُو إلىّ إذا ما خُولِسَ النَّظَرُ[٥]

وهو الذى يقول[٦] :

وكنتُ أَمْشِى على رِجْلَيْنِ مُعْتَمِداً ... فصرتُ أَمْشِى على رِجْلٍ من الخشب

* * *

---

(١) البيت بدون نسبة فى البيان والتبيين ٢٦٢/٣ ، الحيوان ٤٨٦/٦ والرواية فيهما حماريا بدل حمارا ، وانظره فى اللسان شرف برواية : حمارى ، والشرف الرفيع أى المكان العالى ، وهو يصف نفسه بالضعف إذ لا يستطيع أن يثب فوق ظهر حماره بل لابد أن يذهب إلى مكان عال ليستطيع أن يركبه .

(٢) عجب الأرض : أى ألصق عجبه بها ، والعجب أصل الذنب ومؤخر كل شىء ، والبراجم جمع برجمة بالضم وهى المفصل أو الباطن من الأصابع أو هى مفاصل الأصابع كلها .

(٣) ينسب هذا الشعر لعمرو بن أحمر الباهلى كما فى الموشح ٨٠ والخزانة ٩٤/٤ ، ويروى عن بعض العرجان فى البيان ٧٥/٣ ، وانظر اللسان ٣٦٧/١ مأذة ذيب .

(٤) رواية اللسان والموشح والخزانة : يا عيساء بدل يا دهماء ، وعنى بدل منى ، وفى اللسان تثنى بدل تلقى ، وفى بقية المراجع : تطوى .

(٥) لم يرد هذا البيت إلا فى اللسان برواية أخرى هى :

قد كنت فقاح أبواب مغلقة ... ذب الرياد إذا ما خولس النظر

وقال : يقال رجل ذب الرياد إذا كان زواراً للنساء .

(٦) ينسب هذا البيت لأبى حية كما فى الحيوان ٤٨٣/٦ ، والبيان والتبيين ٧٦/٣ ، كما يروى مع البيتين السابقين وينسب لابن أحمر كما سبق القول ، وعلى كل فالرواية الشهيرة فيه : رجل من الشجر بدل الخشب ليصح انضمامه إلى البيتين السابقين ، وانظر عيون الأخبار ٦٨/٤ .

وممن تعارج ولم يكن به عَرَجٌ ، الزُّبَيْر وهو مولى الزُّبير ، والزبير هذا هو أبو الأَشعب الذى يقال : أطمعُ من أشعب[١] ، وكان خرج مع المختار بن أبى عُبيد على مُصْعب بن الزبير ورآه مصعب فى الطريق وإذا هو يتعارَجُ ويتعاور فأَثْبَتَهُ[٢] مصعب فقدّمه فضرب عنقه .

* * *

وتزوّج أبو الغول الطُّهَوِى[٣] امرأته فوجدها عَرْجاء من رجليها جميعا فقال :

أعوذُ باللهِ من زَلّاء[٤] فاحشـةٍ كأنّما نِيطَ ثَوْباهَا على عُـودِ
لايُمْسِكُ الحَبْلَ حِقْواهَا إذا انْتَطَقَتْ وفى الذُّنَابَى وفى العُرْقُوبِ تَحْدِيدُ[٥]
أعوذُ باللهِ من ساقٍ بهـا عِـوَجٌ كأنّها من حديدالقَيْنِ سَفُّودُ[٦]

وأنشدنى لأعرابى :

ليستْ من العُوجِ العَمَلَّجَاتِ[٧] كأن رِجْليْها كُرَاعَا شاة[٨]
فى قَدَمَىْ عَوْجَاء كالمِسْحَاةِ

* * *

---

(١) المعروف أن أباه يسمى جبيرا لا الزبير كما ورد فى النص ، وكان مولى عبد الله ابن الزبير ، انظر مجمع الأمثال ٤٣٩/١ ، الأغانى ٨٣/١٧ .

(٢) أثبته : عرفه حق المعرفة .

(٣) هو من قوم من بنى طهية يقال لهم بنو عبد شمس بن أبى أسود يكنى أبا البلاد ، وقيل له أبو الغول لأنه — فيما زعم — رأى غولا فقتله ، انظر المؤتلف والمختلف ١٦٣ .

(٤) الزلاء : قليلة لحم الوركين ، وفى الأصل دلاء تحريف ، وفى هذا البيت إقواء مع ما بعده من أبيات .

(٥) الحقو : الخصر ، والذنابى : أصل الذنب .

(٦) انظر الأبيات فى عيون الأخبار ٣٣/٤ ، والرواية فيه جنب يدل عوج فى البيت الأخير ، وهما بمعنى .

(٧) العوج : جمع عوجاء وهى الضامرة من الإبل ، أو جمع عاج وهى الناقة اللينة الأعطاف ، أما العملجات بالعين فلم أعثر على هذه المادة فى كتب اللغة وإنما هناك الغملجة بالغين وهى المتقلبة الخلق .

(٨) الكراع بزنة غراب من البقر والغنم : مستدق الساق .

ومن العرجان ، أبو الفوارس الباهلىّ ، كان رسولَ ابن هبيرة[١] إلى هشام بن هبيرة فى الجيش ، قال : فقدمتُ غدوة وقدم ابن هبيرة نفسه بالعشىّ .

* * *

قال : ومن العرجان ، الأعرجُ الضَّبىّ ثم الكُوزِىّ[٢] ، وكان شاعراً وهو الذى يقول :

مَتى تَلْقَ حَيًّا من جُؤَيَّةَ لاتكن تحيتُنَا إلاَّ ببيضِ صَفَائِحِ
على القاطعاتِ الحَزْن بالخيل والقَنَا كأنَّ على أقرانها ثوبَ ماتحِ
هنالك لاقُرْبَى تُنَاصِرُ بينـــا سوى نَسَبٍ فى أوّلِ الدَّهْرِ نَازِحِ

ومن هذا الشكل ، وليس من ذكر باب العرجان ، قول كنانة بن عبد ياليل :

ياعمرُو لاتَأْخُذْكَ فيهم رأفـــةٌ احْذَرْهُمُ حَذَرَ امرىءٍ لايَمْزَحُ
واحْذَرْهُمْ كالمُصْطَلِى بجحيمها إنّ القرابة كلَّ يومٍ تَنْزَحُ

* * *

ومن العرجان، سعيدُ بنُ أبى عَروبة[٣]، واسم أبى عروبة مِهْرَان،

---

(١) هو يزيد بن عمر بن هبيرة والى العراقين لمروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ولما ظهر العباسيون أرسل السفاح أخاه المنصور لحربه فأعياه أمره ثم تصالحا عام ١٣٢ هـ ، إلا أن أبا جعفر قتله هو وابنه داود بعد ذلك ، انظر المعارف ٣٧٢ .

(٢) فى الأصل : الكودى تحريف ، والكوزى نسبة إلى كوز بن كعب بن بجيلة بطن من ضبة ، انظر القاموس كوز ، وجمهرة الأنساب ٢٠٤ .

(٣) العدوى البصرى ، من أصحاب الحديث الثقات ، وكان هو وهشام الدستوائى أثبت الرواة عن قتادة ، توفى سنة ١٥٦ أو ١٥٧ كما ورد فى تهذيب التهذيب والمعارف ، على حين يذكر الجاحظ هنا كما نرى تاريخاً آخر .

مات سنة تسع وخمسين ومائة ، وقد لقى الحسن ، وهو صاحب قَتَادة[١] وروى عنه المخالفَ والموافقَ ، وله تصنيف كتاب الطلاق ، يقولون : طلاقُ سعيد بن أبي عروبة ، وقد سمعت أنا من عبد الأعلى السَّامى[٢] ، وأصحابُ سعيد كبارٌ ثقاتٌ فحدَّثَ عنهم المخالف والموافق ، ومن أعاجيب سعيد أنَّه لم يمسَّ امرأةً قطُّ من غير عَجْزٍ[٣] .

قال يزيدُ بن قَبِيصةَ المهلبيّ[٤] : قدمتُ على أبي مُسلمٍ صاحبِ الدولة من البصرة فساءلني عما أراد ، ثم قال لى : ما فعل الأعرجُ سعيدُ بنُ أبي عَروبة ؟ كأنى أنظُرُ إلى نظافةِ بيته ، قال : قلت : سالمٌ صالح ، قال : فما فعل هشام الدَّسْتَوائيّ[٥] ؟ كأنّى أنظُرُ إلى دموعه على خدّيه ، قال : قلت : سالمٌ صالح . قال : أما إنِّى إنْ دخلتُ العراقَ قتلتُهما ، قلت : ولم ذاك أيُّها الأمير ؟ قال : لأنَّهما يزعمانَ أنَّ عثمانَ أفضلُ من عليٍّ . قال : وقدم العراق فلم يعرض لهما .

* * *

---

(١) الحسن هو الحسن البصرى إذ هو المقصود عند الإطلاق ، أما قتادة فهو قتادة بن دعامة السدوسى ، أبو الخطاب ، أحد المحدثين العباد الثقات ، كان يحفظ ولا يكتب ، انظر المعارف ٤٦٢ ، تذكرة الحفاظ ١٠٢/١ تهذيب التهذيب ٣٥١/٨ .

(٢) هو عبد الأعلى بن عبد الأعلى بن محمد القرشى البصرى السامى نسبة إلى سامة بن لؤى ، محدث ثقة ، كان ممن يرى القدر ، توفى سنة ١٩٨ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ٩٦/٦ .

(٣) انظر المعارف ٥٠٨ .

(٤) ليس فى ولد قبيصة بن المهلب من يدعى يزيد ، فلعله يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلبى والى السند ، كما ورد فى جمهرة الأنساب ٣٧٠ .

(٥) فى الأصل : الدستوانى ، وصحتها كما أثبت فهو نسبة إلى دستوا بفتح الدال والتاء من بلاد فارس ، وهو هشام بن أبى عبد الله سنبر الدستوائى البصرى السدوسى بالولاء ، محدث ثقة روى عن قتادة وروى عنه يحيى القطان ، وكان يرمى بالقدر ، توفى بعد سنة ١٥٣ هـ ، ترجمته فى تذكرة الحفاظ ١٥٥/١ ، المعارف ٥١٢ ، تهذيب التهذيب ٤٣/١١ .

قال : ومن العرجان ، سعد الأعرج من أصحاب يعلى بن مُنْيَةَ[١] ، ولقى عمر بن الخطاب .

* * *

ومن العرجان ، إبراهيمُ بن محمد بن طلحة بنُ عبيد الله[٢] ، سمع أبا هريرة وعبد الله بن عمر ، ومات بالمدينة سنة عشر ومائة .

* * *

ومن العرجان الشعراء ، مَجْلُودة الأعرج ، وهو الذى يقول[٣] :

وتَعْرِفُنى هُنَيْدَة مِنْ بنيها ... وأعرفها إذا امتدّ الغبارُ[٤]

مَتَى ما تَلْقَ منا ذا ثَنَاءٍ ... تَوُزُّ كأن رجليه شجَارُ[٥]

فلا تَعْجَلْ عليه فإنّ فيه ... منافعَ حين يبتَلُّ العَذَارُ[٦]

وقال أبو مِخْنف فى الزراية على الشجاع الذى لا دواء له ، وليس

---

(١) فى الأصل : ابن منبه وهو تحريف يتردد كثيراً فى هذا الاسم ، وصحته كما أثبت ، انظر الجمهرة ٢١٣ ، ٢٢٩ ، كان على اليمن أيام عثمان وخرج مع عائشة وشارك فى وقعة الجمل بأموال جمة ، انظر تاريخ الطبرى ١٦٦/٥ .

(٢) كان سيداً يسمى أسد الحجاز ، استعمله عبد الله بن الزبير على خراج الكوفة ، ومات بمكة وهو محرم ، المعارف ٢٣٢ .

(٣) ورد الأبيات التالية دون نسبة فى البيان والتبيين ٤٩/٤ .

(٤) فى البيان : تعرفنى .. من بنوها ، واشتد بدل امتد .

(٥) فى الأصل : فر بدل توز ولا يستقيم معها الوزن ، وقد أثبتنا ما فى البيان ، وقال شارح البيان : الأز : الحركة الشديدة ، والشجار ، خشب الهودج والخشبة التى توضع خلف الباب .

(٦) العذار : ما سال على خد الفرس من شعر ، وابتلاله كناية عن شدة الجهد فى الحرب.

هذا من ذكر باب العرجان ولكنه يناسب[١] شعر مجلودة ، وهو قولـه[٢] :

أَلم تسأَلْ فـوارسَ من سُلَيْم لنَضْلةَ وهو مَوْتُورٌ مُشِيحُ[٣]
رأوه فَازْدَرَوْهُ وهو خِـرْقٌ ويَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ القَبِيحُ[٤]
ولم يَخْشَوْا مَصَالتـهُ عَلَيْهِمْ وتحت الرَّغْوَةِ اللَّبَنُ الصَّرِيحُ[٥]

• • •

وقال المُسَرْهَدُ فى زُنْبُور التَّغْلِبى :

يا أَعْرَجَ الرِّجْلِ صَغِيرَ الجِرْمِ وناقصَ الصُّورِ خبيثَ الإِسْمِ[٦]

---

(١) كلمة غير واضحة فى الأصل .

(٢) وردت الأبيات التالية منسوبة لأبى محجن الثقفى فى البيان والتبيين ٣٣٨/٣ ، ووردت منسوبة لنضلة السلمى فى اللسان فصح ،كامل المبرد ٥٣/١ ، مجمع الأمثال ١٠٣/١ ، ٤١٤العقد الفريده/٢٤١، ٢٥٢،ونسبت لرجل من سليم فى مجالس ثعلب ٧،وانظر عيون الأخبار ٣٨/٤ ، وتختلف الرواية فى ألفاظها من مرجع إلى آخر ، كما تختلف قصتها كذلك ، فقد ذكر فى العقد أنها قيلت يوم غول الأول قالها نضلة السلمى وكان حقيراً دميما ذا نخوة وبأس ، وذكر فى مجالس ثعلب أن الأبيات قيلت عندما مر قوم من بنى سليم برجل من مزينة يقال له نضلة فى إبل له فاستسقوه لبناً فسقاهم ، فلما رأوا منه أنه ليس فى الإبل غيره ازدروه فأرادوا أن يستاقوها فجالدهم حتى قتل منهم رجلا وأجل الباقين عن الإبل ، فقال فى ذلك رجل من بنى سليم .

(٣) فى البيان : ألم تسل الفوارس من سليم .. بنضلة ، وفى مجمع الأمثال والعقد ألم تسل الفوارس يوم غول ، والمشيح : الجاد الحذر .

(٤) الخرق : الفتى الكريم ، وذو السماحة والنجدة ، وفى مجمع الأمثال والعيون والعقد وهو حر بدل خرق .

(٥) المصالة : الصولة ، وفى الأصل : مقالته بدل مصالته تحريف ، وفى العقد والكامل واللسان : اللبن الفصيح بدل الصريح .

(٦) الجرم بكسر الجيم : الجسد : والصور : جمع صورة وهى الشكل ، او الصور : بمعنى صفحة العنق .

وقال أبو خِرَاش الهُذَلِيُّ :

وإنى لأُثْوِى الجوعَ حتى يَمَلَّنِى فيذهبَ لم يُدْنِسْ ثيابِى ولاجِرْمِى[١]

• • •

ومن العرجان ، الهَيْثم بنُ مُطَهَّر الفَأْفَاء ، ونوادره كثيرة[٢]

[العرج من الحيوان]

وفى أصناف الحيوان عُرْجُ وأشباه العُرْج ، وأشكالٌ من المشى واختلاف فى العَدْوِ وتَفاوت[٣] فى الوَطْء[٤] ، وللإنسان نفسه اختلاف شديد على قدر الحالات المختلفة عليه ، وبكلِّ ذلك نطقت الأشعارُ واستفاضت الأخبار وشهد عليه العيانُ وميّزتْه العقولُ .

• • •

فمن العُرْج ، الضَّبعُ عرجاءُ ألبتةَ ، وهى أشدُّ السِّباعِ حِرْصاً على لحوم الناس وأشد الخَلْق معَادَ وأسْنان ، ويقال إنها مَمْطُولة[٥] فى فَكِّيها ، وهى تنبش القبور وتحفرها حتى تنتهى إلى أبدان الموتى .

• • •

---

(١) هذا البيت ساقه المؤلف لمناسبة ذكر الجرم فيه للبيت السابق ، انظره فى ديوان الهذليين ١٢٧/٢ مع قصة رائعة فى ضبط النفس والتغلب على الجوع حدثت لقائله أبى خراش ، وأثوى الجوع : أطيل حبسه .

(٢) كان فى أيام المهدى ، وقد ساق له الجاحظ عدة نوادر غاية فى الظرف فى كتاب البغال ، منها أن رجلا ادعى عليه أنه سرق بغلا ، فسأله الوالى : ما يقول ؟ فقال الهيثم : ما أعرف مما يقول شيئاً ، قال الرجل : أصلحك الله ، إنه سكران فاستنكهه ، فقال : لأى شئ يستنكهنى ؟ أأكلت البغل ؟ انظر كتاب البغال ضمن رسائل الجاحظ ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٣) فى الأصل : تفلوت .

(٤) فى الأصل : الوطئ .

(٥) الممطول : المسوف العدة بقضاء الحاجة ، والضبع ممطولة بالشبع أى لا تشبع أبداً ، والمعاد جمع معدة .